دلالات مناسك الحَج على مَراتبِ الدّين

(دِراسة تحليلية عقديّة)

د. وليّد بن محمّد بن عبد الله العلي(*)

(*) أستاذ مساعد – بقسم العقيدة والدعوة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

مُلخَّص البحث :

إنَّ فقه حجِّ بيت الله الحرام ينقسم إلى قسميْن: فقه أكبر، وهُو فقه أُصول الدِّين المُستنبط مِمَّا في المناسك من الآيات والبيِّنات، وفقه أصغر، وهُو فقه الشَّرائع والأحكام المُستنبط مِمَّا في المناسك من الأركان والواجبات.

ومن سار بتأمُّله في مناسك الحجِّ سير الحاثِّ؛ استنبط من فقهها الأكبر مراتب الدِّين الثَّلاث، فالمرتبة الأُولى: هي الإسلام، والمرتبة الثَّانية: هي الإيمان، والمرتبة الثَّالثة: هي الإحسان.

فأمَّا أركان الإسلام الخمسة: فإنَّها ترجع كُلُّها إلى أصليْن ، وهُما: الإخلاص والمُتابعة، ومن تأمَّل مناسك الحجِّ والعمرة وجدها بأركانها وواجباتها لهذيْن الأصليْن تابعة.

فمناسك الحجِّ والعمرة فيها تقريرٌ للشَّهادتيْن ، وتأكيدٌ الشَّهادة للربِّ بالتَّوحيد، والبراءة من الشَّريك والنَّديد، والشَّهادة لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم بالإرسال للعبيد.

وأمَّا أركان الإيمان السِّتَّة :فإنَّها ترجع كُلُّها إلى أصليْن ، هُما:الصَّبر واليقين، ومن تأمَّل الحجِّ والعمرة وجدهما قد أُسِّس بُنيانهما على أساسهما المتين.

فمن ذلك: التَّلبية التي هي شعار الحجِّ ، وكيف دلَّت بما تضمَّنته من المعاني والكلمات؛ على أصل الإيمان بالله تعالى وما تفرَّع عنه من الرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة والأسماء والصِّفات.

وأمَّا رُكن الإحسان : فإنَّ مناسك الحجِّ والعُمرة كُلَّها تُذكِّر به وتُرشد إليه، كما تدلُّ الحاجَّ على أصليْه ، وهُما : المُراقبة والمُحاسبة، وتجعلهما نَصْب عينيْه.

فعلى قدر إحسان العبد في حجَّته؛ يُضاعف الله سُبحانه له في حسنته، فالحجُّ المبرور الذي ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه من البرِّ والإحسان، وإنَّما يعظم برُّ الحُجَّاج وإحسانهم – وهُم وفد الله تعالى – على صدق مُراقبتهم لربِّهم المنَّان.

والحمد لله أولاً وأخيراً ، وظاهراً وباطناً .

المقدمـة :

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد:

فلمَّا (كان العلم للعمل قريناً وشافعاً؛ وشرفه لشرف معلومه تابعاً: كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التَّوحيد، وأنفعها علم أحكام أفعال العبيد)[4]، فإنَّ علم العقيدة والتَّوحيد: هو الفقه الأكبر، وعلم أحكام أفعال العبيد: هو الفقه الأصغر.

فهذا بحثٌ يتضمَّن الدِّلالة على الفقه الأكبر المُتعلِّق بعلم التَّوحيد؛ وكيف يستوثق بعُروته الفقه الأصغر المُتعلِّق بعلم أحكام حجِّ العبيد.

وهذا البحث تكمن أهمَّيَّته في أمورٍ كثيرةٍ، منها:

١ - أنَّ الفقه الأصغر المُتعلِّق بعلم أحكام حجِّ العبيد: مُستوثقٌ بعُروة الفقه الأكبر المُتعلِّق بعلم التَّوحيد.

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ - ٧١.

(٤) إعلام المُوقِّعين لابن قيِّم الجوزيَّة ٢/٨.

٢ – اشتمال هذا الدِّين على الحِكَمِ: هُو نظير اشتماله على الأحكام.

٣ – أنَّ التَّكاليف الشَّرعيَّة التي خُوطب بها المُكلَّفون من العباد؛ قد قامت على أصلٍ أصيلٍ ورُكنٍ ركينٍ ، وهو حُسن الاعتقاد.

وقد قسَّمت البحث إلى: مُقدِّمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ، وتفاصيل ذلك على النَّحو الآتي:

أولاً: مُقدِّمة البحث:

وتتناول: فاتحة البحث؛ وخُطَّته؛ وأهمِّيته؛ وسبب اختياره.

ثانياً: التَّمهيد:

ويتناول: بيان أنَّ قواعد الدِّين ثلاثٌ، فقاعدته الأُولى: هي الإسلام، وقاعدته الثَّانية: هي الإيمان، وقاعدته الثَّالثة: هي الإحسان.

ثالثاً: المبحث الأوَّل: دلالة مناسك الحجِّ على الإسلام، وتحت هذا المبحث أربع مطالب:

المطلب الأوَّل: دلالة مناسك الحجِّ على الشَّهادتيْن.

المطلب الثَّاني: دلالة مناسك الحجِّ على الصَّلاة.

المطلب الثَّالث: دلالة مناسك الحجِّ على الزَّكاة.

المطلب الرَّابع: دلالة مناسك الحجِّ على الصَّوم.

رابعاً: المبحث الثَّاني: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان، وتحت هذا المبحث ستَّة مطالب:

المطلب الأوَّل: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

المطلب الثَّاني: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالملائكة.

المطلب الثَّالث: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالكُتب.

المطلب الرَّابع: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالرُّسل.

المطلب الخامس: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السَّادس: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالقدر.

خامساً: المبحث الثَّالث: دلالة مناسك الحجِّ على الإحسان.

سادساً: خاتمة البحث:

وتتناول: أهمَّ النَّتائج التي توصَّلت إليها في هذا البحث، ومُلحقٌ بها: فهرس المراجع والمصادر العلميَّة التي تمَّ الاستفادة منها، وفهرس الموضوعات.

والله سبحانه وتعالى أسأل؛ وبأسمائه الحُسنى أتوسَّل: أن يجعل أعمالنا كُلَّها صالحة، ولوجهه الكريم خالصة، وأن يجعل هذا البحث تعاوناً على البرِّ والتَّقوى؛ وتواصياً بالحقِّ وتواصياً بالصَّبر.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين.

التَّمهيد :

إنَّ للتَّمهيد بين يدي البحث: فائدةً كُبرى؛ وعائدةً عُظمى، فهو كالمرقاة إليْه؛ وكالباب المُدخل عليْه، ويحسن قبل البدء بهذا البحث الهامِّ: أن أُمهِّد بين يديْه بما يقتضيه المقام؛ وذلك أنَّ فقه حجِّ بيت الله الحرام ينقسم إلى قسميْن: فقه أكبر، وهُو فقه أُصول الدِّين المُستنبط مِمَّا في المناسك من الآيات والبيِّنات، وفقه أصغر، وهُو فقه الشَّرائع والأحكام المُستنبط مِمَّا في المناسك من الأركان والواجبات.

ومُدارسة فقه الحجِّ الأكبر؛ يُهذِّب الأخلاق والنُّفوس، ويُقرِّبها للمَلِك القدُّوس[1].

فالمُتأمِّل في مناسك الحجِّ؛ يستنير بدلائلها الصَّريحة؛ ويستضيء بإشارتها المليحة؛ ويسير في فقهها الأكبر سير الحاثِّ؛ ويستنبط منها مراتب الدِّين الثَّلاث، هذه المراتب البديعة، وهذه المقامات المنيعة، وهذه المنازل الرَّفيعة، التي هي بيانٌ وبُرهانٌ وعُنوانٌ، على المرتبة الدُّنيا، وهي: الإسلام، والمرتبة الوُسطى، وهي: الإيمان، والمرتبة العُليا، وهي: الإحسان.

وهذه المراتب الثَّلاث قد جاء ذكرها في حديث جبريل عليه السَّلام، فقد أخرج مُسلمٌ في صحيحه من حديث عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **(بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم: إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثِّياب، شديدُ سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منَّا أحدٌ، حتَّى جلس إلى النَّبيِّ ﷺ ، فأسند رُكبتيْه إلى رُكبتيْه؛ ووضع كفَّيْه على فخذيْه، وقال: يا مُحمَّد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ : (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً رسول الله ﷺ ، وتُقيم الصَّلاة، وتُؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً) قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تُؤمن بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسله، واليوم الآخر، وتُؤمن**

(١) انظر: الحجُّ وتهذيب النُّفوس للبدر.

بالقدر خيره وشرِّه)، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه: فإنَّه يراك) قال: فأخبرني عن السَّاعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السَّائل)، قال فأخبرني عن أَمَارَتِها؟ قال: (أن تلد الأَمَة ربَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رِعَاءَ الشَّاء يتطاولون في البُنيان)، قال: ثُمَّ انطلق؛ فلبثتُ ملياً. ثُمَّ قال لي: (يا عُمر؛ أتدري من السَّائل)؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنَّه جبريل أتاكم يُعلِّمكم دينَكم)(١).

فقد تضمَّن هذا الحديث الشَّريف: الإشارة لأركان بُنيان الدِّين المُنيف، وسيرد في هذا البحث الإشارة إلى دلالة حجِّ بيت الله الحرام؛ على هذه الأركان الثَّلاثة التي أُسِّس عليها بُنيان دين الإسلام.

ويحسن في هذه التَّوطئة التي تضمَّنها التَّمهيد: الإشارة إلى قاعدةٍ عظيمةٍ من قواعد التَّوحيد: (من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه)(٢).

فقد قرَّرت مناسك الحجِّ هذه القاعدة المرعيَّة؛ التي قد دلَّت على صحَّتها النُّصوص الشرعيَّة.

ووجه الشَّاهد من حجِّ بيت الله الحرام على هذه القاعدة: أنَّ الربَّ عزَّ وجلَّ ابتلى نبيَّه إبراهيم الخليل؛ برُؤيا منامٍ تستدعي منه ذبح ابنه إسماعيل، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ

---

(١) صحيح مُسلمٍ [كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان–الحديث رقم (٨)–١/٣٦–٣٨].

(٢) انظر تقرير هذه القاعدة الشَّرعيَّة في: الباب السَّابع والعشرين من كتاب روضة المُحبِّين لابن قيِّم الجوزيَّة ص٦٠٠–٦١٦.

ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾(1).

فلما وقع من الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السَّلام كمال الاستسلام؛ فأظهرا الامتثال لأوامر الربِّ سُبحانه واحتسبا الأجر والمثوبة والإكرام؛ عوَّضهما الله تعالى خيراً منه، ورضي الله عنهما ورضيا عنه.

فإبراهيم عليه السَّلام عمد إلى قطع نسله وبتر ذُرِّيَّته استسلاماً لأمر وليِّه ومولاه، وقابل ابنه إسماعيل هذا الاستسلام بأن استسلم لأبيه ورضي بما قدَّره ربُّه وقضاه، فأكرم الله سُبحانه إبراهيم ببركة ذُرِّيَّته، واختصَّهُم الله بمنِّه واصطفاهم بنُبوَّته، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾(2).

فما من نبيٍّ من الأنبياء اختُصَّ بالبعثة بعد إبراهيم؛ إلا وهو من ذُرِّيَّته عليهم أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم، فإمَّا أن يكون الأنبياء من ذُرِّيَّة ابنه إسحاق وهُم عُموم من بُعث من الأنبياء عليهم السَّلام، وإمَّا أن يكون من ذُرِّيَّة ابنه إسماعيل وهُو خاتمهم مُحمَّدٌ عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام.

فالربُّ تبارك وتعالى يكون للعبد على حسب ما يكون العبد لمولاه، فإبراهيم عليه السَّلام أراد أن يَفْدِيَ ابنه استجابة لربِّه فأعاضه وأعطاه، فبارك الله تعالى في هذا النِّسل وجعلهم خير نسلٍ وآل، واختصَّهم بالرَّحمة والبركة واصطفاهم بالنُّبوَّة والإرسال، كما قال الله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(3).

---

(1) سُورة الصَّافات: الآيات ٩٩-١١١.

(2) سُورة العنكبوت: الآيتان ٢٦-٢٧.

(3) سُورة هُودٍ: الآية ٧٣.

وهذه الآية الكريمة من أوجه ما أعاض به الرَّبُّ تبارك وتعالى خليله إبراهيم عليه السَّلام: حيث قرن الصَّلاة على أهل بيته باسميْن من أسمائه الحسنى دالَّيْن على الزِّيادة والتَّمام، للدِّلالة على أنَّ حمد أهل السَّماء والأرض لأهل هذا البيت الكريم: حمدٌ عظيمٌ ، لا يحدُّه حدٌّ ، وحمدٌ لا يبلغ أحدٌ منتهاه في الثَّناء والتَّكريم.

ومن أوجه ما أعاض به الرَّبُّ تبارك وتعالى إبراهيم عليه السَّلام: أن اتَّخذه خليلاً ، وهي مرتبةٌ عظيمةٌ لم يسبقه إليها أحدٌ من الأنام.

ومن أوجه ما أعاضه به الرَّبُّ البَرُّ الرَّحيم: أن فدى إسماعيل عليه السَّلام بذبحٍ عظيمٍ، فجعل الله تبارك وتعالى هذا الذَّبح سُنَّةً في العالمين، فما من نُسكٍ يُذبح إلا وفيه تأسٍ به إلى يوم الدِّين(١)، فجعله الرَّبُّ تبارك وتعالى أُسوةً حسنةً؛ واتَّخذه النَّاس من بعده قُدوة مُستحسنة(٢).

فالحجُّ تضمَّن الإشارة إلى هذه القاعدة العظيمة الشَّأن، لذا حسن التَّمهيد بها بين يدي الدِّلالة على الأركان.

وهذا أوانُ الشُّروع في المُراد والمُبتغى والمقصود، مُستلهماً الرَّشاد والسَّداد من المُستعان المعبود:

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن قيِّم الجوزيَّة ٣/ ١١٩٨، جلاء الأفهام له ص٣٠٣-٣١٧، الدَّاء والدَّواء له ص٤٤٥، زاد المعاد له ١/ ٧١-٧٥، مفتاح دار السَّعادة له ٢/ ٨٤٨-٨٤٩.

(٢) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [جلاء الأفهام ص٣١٦]: (ومناقب هذا الإمام الأعظم؛ والنَّبيِّ الأكرم: أجلُّ من أن يُحيط بها كتابٌ، وإن مدَّ الله في العُمر: أفردنا كتاباً في ذلك؛ يكون قطرة في بحر فضائله أو أقلَّ، جعلنا الله ممَّن ائتمَّ به، ولا جعلنا ممَّن عدل عن ملَّته بمنَّه وكرمه).

المبحث الأول

دلالة مناسك الحجِّ على الإسلام

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جمع في مناسك الحجِّ أركان الإسلام: الشَّهادتيْن؛ والصَّلاة؛ والزَّكاة؛ والصَّوم، وبيان ذلك يتجلَّى في أربعة مطالبٍ:

المطلب الأوَّل: دلالة مناسك الحجِّ على الشَّهادتيْن:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جمع في مناسك الحجِّ الشَّهادتين: الشَّهادة له تعالى بالتَّوحيد والبراءة من الشَّريك والنَّديد، والشَّهادة لنبيِّه ﷺ بالإرسال للعبيد.

فأمَّا الشَّهادة لله بالتَّوحيد؛ والبراءة من الشَّريك والنَّديد: فإنَّ الحاجَّ إنَّما يُهِلُّ بالتَّلبية، وهي قوله: (لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والمُلك، لا شريك لك).

فتضمَّنت التَّلبية إفراد الرَّب سُبحانه بالتَّوحيد؛ والبراءة من كُلِّ ما سواه من الشَّريك والنَّديد، كما أخرج مُسلمٌ في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله الأنصاريِّ رضي الله عنهما في حجَّة النَّبيِّ ﷺ قال: **(ورسولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؛ وَعَلَيهِ يَنْزِلُ القُرْآنَ؛ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، ومَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ: عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ)**[1].

فإهلالُ الحاجِّ بهذه التَّلبية المُتضمِّنة لشهادة التَّوحيد: فيه تجديدٌ للعهد والوعد الذي بينه وبين الحميد المجيد، فالحاجُّ يُعاهد الله تبارك وتعالى على تحقيق التَّوحيد الذي أدخله في دين الإسلام، فعُصِمَ بسبب هذا التَّوحيد من أن يُنتهك دمه وعرضه وماله بالعُدوان والآثام.

---

(١) صحيح مُسلمٍ [كتاب الحجِّ/ باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ – الحديث رقم (١٢١٨)– ٢/ ٨٨٦–٨٩٢].

فتلبية الحاجِّ بالتَّوحيد فيها عهدٌ بأن يلزم عُبوديَّة الله سُبحانه وتعالى، وأن يتقرَّب إليه بالطَّاعة بعد الطَّاعة، وفيها وعدٌ بأن يبرأ من كُلِّ ما يُناقض التَّوحيد من الشِّرك والبدعِ والمعاصي التي سببُها التَّفريطُ والإضاعة.

وممَّا يُناقض توحيد الله تعالى الذي أهل به حُجَّاج البيت الحرام: أن يخلطوا إخلاصهم له بشيءٍ ممَّا يصرفوا به إليهم وُجوه الأنام، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: **(حجَّ النَّبيُّ ﷺ على رحلٍ رثٍّ وقطيفةٍ تسوى أربعة دراهم -أو لا تسوى-، ثم قال: اللَّهُمَّ حجَّة لا رياء فيها ولا سمعة)**(١).

فالتَّوحيد يُصحِّح عزم الحاجِّ وقصده وعمله؛ ليكون (خالصاً لوجه الله سُبحانه بعيداً عن شوائب الرِّياء والسُّمعة؛ وليتحقَّق أنَّه لا يُقبل من قصده وعمله إلا الخالص.

وإنَّ من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره، فليُصحِّح مع نفسه العزم، وتصحيحه بإخلاصه، وإخلاصه باجتناب كُلِّ ما فيه رياءٌ وسُمعةٌ، فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ)(٢).

ومن دلالة الحجِّ الذي فرضه الله على العبيد؛ على أساس الدين ورُكنه الأعظم وهُو التَّوحيد: أنَّ الله تعالى (لما ذكر حجَّ البيت الذي بناه إبراهيم وحثَّ عليه؛ نعى على الشِّرك والوثنيَّة والزُّور الذي تلوَّثت به المناسك)(٣)، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سُننه [كتاب المناسك/ باب الحجِّ على الرَّحل- الحديث رقم (٢٨٩٠)- ص٤٩٠].

(٢) إحياء عُلوم الدِّين للغزاليِّ ١/٢٦٧.

(٣) الأركان الأربعة لأبي الحسن النَّدويِّ ص٢٦٧.

يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فهذا عهدٌ ووعدٌ بين الحاجِّ وبين ربِّه سُبحانه وتعالى أن يُوحِّده وأن يُخلص له الدِّين، وأن ينتهي عمَّا نهاه عنه وأن يأتي -ما استطاع- ما أمره به وأن يكون من المُسلمين.

فإنْ نقض الحاجُّ هذا العهد؛ وأخلف بعد حجِّه هذا الوعد: فإنَّه يندم على النَّقض والخُلْف بالمُبادرة إلى التَّوبة والاستغفار، والإقلاع عن كُلِّ ما يُناقض التَّوحيد والعزم على عدم الإصرار.

فيخفض الحاجُّ بين يَدَي مولاه جناحَ الذُّلِّ مع غاية الخُضوعِ والانكسار، وتلهج أعضاؤه كُلُّها -جَنَانُه ولسانُه وأركانُه- حياءً بسيِّد الاستغفار، ففي صحيح البُخاريِّ عن شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: (**سيِّد الاستغفار أنْ يقول: اللَّهُمَّ أنت ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت**).

قال: ومن قالها من النَّهار مُوقناً بها؛ فمات من يومه قبل أن يُمسي؛ فهُو من أهل الجنَّة، ومن قالها من اللَّيل وهُو مُوقنٌ بها؛ فمات قبل أن يُصبح؛ فهُو من أهل الجنَّة)[2].

فهذه دلالة مناسك الحجِّ على الشَّهادة لله تبارك وتعالى بالتَّوحيد، وأمَّا دلالتها على الشَّهادة لنبيِّه ﷺ بالإرسال للعبيد: فيتجلَّى في كون عمود الحجِّ المتين وأُسِّ بُنيانه الأعظم ورُكنه الركين؛ مُؤسَّس على مُتابعة خاتم المُرسلين؛ صلَّى

(١) سُورة الحجِّ: الآيات ٢٩-٣٢.
(٢) صحيح البُخاريِّ [كتاب الدَّعوات/ باب أفضل الاستغفار- الحديث رقم (٦٣٠٦)- ٤/ ١٩٨٤].

وسلَّم عليه الله ربُّ العالمين، فكان رسولُ الله ﷺ يُوصِي أصحابَه رضي الله عنهم بمُقتضى (شهادة أنَّ مُحمَّداً رسولُ الله)، كما أخرج مُسلمٌ في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله الأنصاريِّ رضي الله عنهما: **(رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يرمى على راحلته يوم النَّحر ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعد حجَّتي هذه)**[(١)]. **وفي لفظٍ: (عنِّي مناسككم)**[(٢)].

فهذه الوصيَّة النَّبويَّة الشَّريفة: هي مُقتضى الشَّهادة المُنيفة: (شهادة أنَّ مُحمَّداً رسولُ الله)، ففيها دلالة مناسك الحجِّ على مضمون هذه الشَّهادة الجليلة؛ التي هي حقٌّ من حقوق النَّبيِّ ﷺ الأصيلة، فحقُّه: أنْ يُصدَّق فيما أخبر، وأنْ يُطاع فيما أمر، وأنْ يُنتهى عمَّا نهى عنه وزجر، وأنْ لا يُعبد الله إلا بما شرَّع وقرَّر.

فبُنيان حُقوق النَّبيِّ ﷺ مُؤسَّسٌ على أربعة أركان، من أخلَّ بواحدٍ من هذه الحُقوق العظيمة فقد أخلَّ بهذا البُنيان.

لذا ظهر حرص الصَّحابة رضي الله عنهم على مُتابعة النَّبيِّ ﷺ في جميع أركان الإسلام، ومن أمثلة هذا الحرص: رغبتهم الصَّادقة في أخذهم عنه بقُوَّةٍ جميع مناسك حجِّهم إلى بيت الله الحرام، ففي صحيح البُخاريِّ عن عبدالله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما قال: **(أهلَّ النَّبيُّ ﷺ بالحجِّ وأهللنا به معه)، فلمَّا قدمنا مكَّة قال: (من لم يكن معه هديٌ فليجعلها عمرةً)، وكان مع النَّبيِّ ﷺ هديٌ، فقدم علينا عليُّ بن أبي طالبٍ من اليمن حاجًّا، فقال النَّبيُّ ﷺ: (بم أهللت؛ فإنَّ معنا أهلك)؟ قال: أهللت بما أهلَّ به النَّبيُّ ﷺ. قال: (فأمْسِكْ، فإنَّ معنا هدياً)**[(٣)].

---

(١) صحيح مُسلم [كتاب الحجِّ/ باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النَّحر راكباً- الحديث رقم (١٢٩٧)- ٢/ ٩٤٣].

(٢) أخرجه الطبرانيُّ في مُسند الشَّاميِّين [الحديث رقم (٩٠٨)- ٢/ ٥٤]، والبيهقيُّ في سُننه الكُبرى [كتاب الحجِّ/ باب الإيضاع في وادي مُحسِّر- ٥/ ١٢٥].

(٣) صحيح البُخاريِّ [كتاب المغازي/ باب بعث عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجَّة الوداع- الحديث رقم (٤٣٥٣-٤٣٥٤)- ٣/ ١٣١٤].

فهذه بعض دلائل مناسك الحجِّ إلى بيت الله الحرام؛ على الشَّهادة بالرِّسالة للنَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وأنَّ الواجب على المُسلم الذي يرجو الله والدَّار الآخـرة أن يستحضر هـذه المعانـي المُستحسنة، وهـي وجـوب مُتابعة رسول الله ﷺ وفرضيَّة محبَّته ونُصرته؛ إذ هو الأُسوة الحسنة، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

فهذه بعض دلائل حجِّ البيت الحرام: على هذا الرُّكن من أركان الإسلام.

المطلب الثَّاني: دلالة مناسك الحجِّ على الصَّلاة:

إنَّ من مناسك فريضة الحجِّ المشروعة- التي فيها اتِّخاذٌ لعَلَم من أعلامه المرفوعة- : أن يُصلَّى ركعتيْن خلف المقام، وهُو مقام إبراهيم عليه السَّلام.

فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: **(قال عُمر: وافقت ربِّي في ثلاثٍ، فقُلتُ: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى، فنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[2]، وآية الحجاب، قُلتُ: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنَّه يُكلِّمهُنَّ البرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب[3]، واجتمع نساء النَّبيِّ ﷺ في الغيرة عليه، فقُلتُ لهُنَّ: عسى ربُّه إن طلقكُنَّ أن يُبدله أزواجاً خيراً منكُنَّ، فنزلت هذه الآية[4])**[5].

---

(١) سُورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سُورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٣) سُورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٤) سُورة التَّحريم: الآية ٥.

(٥) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الصَّلاة/ باب ما جاء في القبلة- الحديث رقم (٤٠٢)- ١/ ١٤٦)، ومُسلمٌ في صحيحه (كتاب فضائل الصَّحابة/ باب من فضائل عُمر رضي الله تعالى عنه- الحديث رقم (٢٣٩٩)- ٤/ ١٨٦٥].

وفي قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1]، قراءتان مُتواترتان، فقرأ نافعٌ المدنيُّ وابن عامرٍ الشَّاميُّ: ﴿ **وَاتَّخَذُواْ** ﴾ بفتح الخاء؛ على الخبر، وقرأ جُمهور القُرَّاء العشرة: ﴿ **وَاتَّخِذُواْ** ﴾ بكسر الخاء؛ على الأمر.

فمعنى الآية على قراءة الجُمهور: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر النَّبيَّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهُم أن يتَّخذوا من مقام إبراهيم عليه السَّلام- مُصلَّى يُصلُّون خلفه.

والمعنى على قراءة المدنيِّين والشَّاميِّين: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبر أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهُم اتَّخذوا من مقام إبراهيم عليه السَّلام- مُصلَّى فصلُّوا خلفه[2].

وسُنَّ لمن طاف بالبيت سبعاً أن يُصلِّي ركعتيْن بعد الطَّواف؛ (إتماماً لتعظيم البيت، فإنَّ تمامه أن يُستقبل في صلواتهم، وإنَّما خُصَّ بهما مقام إبراهيم لأنَّه أشرف مواضع المسجد، وهُو آيةٌ من آيات الله ظهرت على سيِّدنا إبراهيم، وتذكُّر هذه الأُمور هي العمدة في الحجِّ)[3].

وقد شُرع للنَّاسك بعد الفراغ من الطَّواف على جهة الاستحباب والتَّأكيد: أن يقرأ في الرَّكعتين اللَّتيْن خلف مقام إبراهيم عليه السَّلام بسُورتَي التَّوحيد: الكافرون والإخلاص، فقد أخرج مُسلمٌ في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله الأنصاريِّ رضي الله عنهما في حجَّة النَّبيِّ ﷺ قال: (**نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السَّلام فَقَرَأَ:** ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[4]، **فَجَعَلَ المَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ:** ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[5].

---

(١) سُورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) انظر: كتاب معاني القراءات للأزهريِّ ص٦٢، الحُجَّة في القراءات السَّبع لابن خالويْه ص٨٧، شرح الهداية للمهدويِّ ١/ ١٨١-١٨٢.

(٣) حُجَّة الله البالغة للدَّهلويِّ ٢/ ١٧٣.

(٤) سُورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٥) صحيح مُسلمٍ [كتاب الحجِّ/ باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ – الحديث رقم (١٢١٨)- ٢/ ٨٨٧-٨٨٨].

والحكمة البالغة في اختصاص القراءة بهاتيْن السُّورتيْنِ الكريمتيْن خلف المقام: للمُناسبة اللَّطيفة التي بين معناهُما الشَّريف وبين دعوة إبراهيم عليه السَّلام، فإنَّ دعوة أبي الأنبياء؛ ورسالة إمام الحُنفاء؛ قامت على تحقيق التَّوحيد العلميِّ الخبريِّ؛ وأُسِّست على التَّوحيد العمليِّ الإراديِّ.

فأمَّا التَّوحيد العلميُّ الخبريُّ: فهو المُتضمِّن للعِلم بما أخبرت به نُصوص الوحي من إثبات ما يليق بالله تعالى من صفات الجلال؛ وتَنْزيه الرَّبِّ سُبحانه وتعالى عن أضدادها من صفات النَّقص المُباينة من كُلِّ وجهٍ لنُعوت الكمال.

وأمَّا التَّوحيد العمليُّ الإراديُّ: فهو العمل بما دلَّ عليه هذا العِلْم العظيم؛ مُستلزماً حال القُربة لإرادة وجه الله الكريم، مع كمال الحُبِّ والخوف والرَّجاء والتَّعظيم.

(وقد جمع سُبحانه وتعالى هذيْن النَّوعيْن من التَّوحيد في سُورَتَينِ وهُما: سُورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾؛ المُتضمِّنة للتَّوحيد العمليِّ الإراديِّ، وسُورة﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾؛ المُتضمِّنة للتَّوحيد الخبريِّ العلميِّ.

فسُورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾: فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تَنْزيهه عنه من النَّقائص والأمثال.

وسُورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾: فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتَّبرئ من عبادة كُلِّ ما سواه، ولا يتمُّ أحد التَّوحيديْن إلا بالآخر؛ ولهذا كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقرأ بهاتيْن السُّورتيْن في سُنَّة الفجر والوتر؛ اللَّتيْن هُما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النَّهار توحيداً؛ وخاتمته توحيداً.

فالتَّوحيد العلميُّ الخبريُّ له ضدَّان: التَّعطيل؛ والتَّشبيه والتَّمثيل، فمن نفى صفات الرَّبِّ عزَّ وجلَّ وعطَّلها: كذَّب تعطيلُه توحيدَه، ومن شبَّهه بخلقه ومثَّله بهم: كذَّب تشبيهُه وتمثيلُه توحيدَه.

والتَّوحيد الإراديُّ العمليُّ له ضدَّان: الإعراض عن محبَّته والإنابة إليه والتَّوكل عليه؛ أو الإشراك به في ذلك واتِّخاذ أولياء وشُفعاء من دُونه.

وقد جمع سُبحانه وتعالى بين التَّوحيديْن في غير موضع من القُرآن، فمنها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[3])[4].

(١) سُورة البقرة: الآيتان ٢١-٢٢.

(٢) سُورة غافر: الآيات ٦١-٦٥.

(٣) سُورة السَّجدة: الآيات ٤-٦.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلاميَّة لابن قيِّم الجوزيَّة ص ٨٤-٨٧.

ومن تأمَّل الإحرام في الحجِّ وجده (بمنزلة التَّكبير في الصَّلاة، فيه تصوير الإخلاص، والتَّعظيم، وضبط عزيمة الحجِّ بفعلٍ ظاهرٍ، وفيه جعل النَّفس مُتذلِّلة خاشعة لله)(١).

فهذه دلالة مناسك الحجِّ على ركن الإسلام الثَّاني وهو الصَّلاة، فمن **(سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهُ غداً مُسْلِماً: فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ)**(٢).

فهذه بعض دلائل حجِّ البيت الحرام: على هذا الرُّكن من أركان الإسلام.

المطلب الثَّالث: دلالة مناسك الحجِّ على الزَّكاة:

إنَّ مناسك الحجِّ كما أنَّها تتضمَّن العبادة البدنيَّة؛ فإنَّها تتضمَّن -أيضاً إلى جانب ذلك- العبادة الماليَّة، فالعبادة الماليَّة التي في الحجِّ فيها مُشابهةٌ لرُكن الإسلام الثَّالث وهُو الزَّكاة، فإنَّ الحجَّ فيه بذلٌ للمال، وهُو ما يُخرجه الحاجُّ من نفقة ابتغاء وجه الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٣).

والاستطاعة أن يجمع النَّاسك الصِّحَّة والرَّاحلة والزَّاد، مع ما يفضل من نفقةٍ فيذرها عند الأهل والأولاد(٤).

فمناسك الحجِّ والعُمرة فيها شبهٌ بأحد أبواب الزَّكاة وهُو باب الصَّدقات، لأنَّ

---

(١) حُجَّة الله البالغة للدَّهلويِّ ٢/ ١٦٥.

(٢) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب صلاة الجماعة من سُنن الهُدى- الحديث رقم (٦٥٤)- ١/ ٤٥٣] من حديث عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٣) سُورة آل عمران: الآيتان ٩٦-٩٧.

(٤) انظر: جامع البيان للطَّبريِّ ٤/ ١٥-١٨، تفسير القُرآن العظيم لابن أبي حاتمٍ ٣/٢ ٧١-٤ ٧١، الدُّر المنثور للسُّيوطيِّ ٢/ ٩٩-١٠٠.

ما يبذله الرَّجل في المناسك إنَّما يحتسبه عند الله تعالى من النَّفقات، فمن لم يفد إلى ربِّه مع صحَّة جسمه وسعة رزقه فهُو محرومٌ من الخيرات، فعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(قال الله: إنَّ عبداً صحَّحت له جسمه؛ ووسَّعت عليه في المعيشة؛ يمضي عليه خمسة أعوامٍ لا يفد إليَّ: لمحرومٌ)** أخرجه ابن حبَّان والبيهقيُّ(١).

فعلى قدر ما يبذله المُتنسِّك من نفقةٍ تُوصله إلى البيت الحرام؛ على قدر ما يُفيض الله تعالى عليه من الأجر والإكرام والإنعام، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال لها في عُمرتها: **(إنَّ لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك)**(٢).

ومن ترك هذا المال المُنفق في مناسك الحجِّ لمولاه؛ عوَّضه الله تبارك وتعالى خيراً ممَّا أنفقه وأعطاه، كما تواترت المُبشِّرات الكثيرة؛ وتظافرت -أيضاً- المُرغِّبات الوفيرة؛ على القاعدة الشَّرعيَّة الشَّهيرة: (من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه)، ومصداق ذلك: قول النَّبيِّ ﷺ: **(تابعوا بين الحجِّ والعُمرة، فإنَّهما ينفيان الفقر والذُّنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذَّهب والفضَّة، وليس للحجَّة المبرورة ثوابٌ دُون الجنَّة)**(٣).

---

(١) أخرجه ابن حبَّان في صحيحه [كتاب الحجِّ/ ذكر الإخبار عن إثبات الحرمان لمن وسَّع الله عليه ثُمَّ لم يزر البيت العتيق في كُلِّ خمسة أعوام مرَّة- الحديث رقم (٣٧٠٣)-٩/ ١٦]، والبيهقيُّ في شُعب الإيمان [باب المناسك/ فضل الحجِّ والعُمرة- الحديث رقم (٣٨٣٧-٣٨٣٨)-٨/ ٧١-٧٣].

(٢) أخرجه الحاكم في مُستدركه [كتاب المناسك/ الحديث رقم (١٧٣٣)-١/ ٦٤٤]، والدارقُطنيُّ في سُننه [كتاب الحجِّ/ باب المواقيت- الحديث رقم (٢٢٨)-٢/ ٢٨٦]، وأخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب بيانِ وُجوه الإحرام وأنَّه يجوز إفراد الحجِّ والتَّمتُّع والقران وجواز إدخال الحجِّ على العُمرة ومتى يُحلُّ القارن من نُسكه-الحديث رقم (١٢١١)-٢/ ٨٧٧] بلفظٍ نحوه.

(٣) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٣٦٦٩)- ٦/ ١٨٥]، والتِّرمذيُّ في جامعه [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في ثواب الحجِّ والعُمرة-الحديث رقم (٨١٠)- ص١٩٨)، والنَّسائيُّ في سُننه (كتاب مناسك الحجِّ/ باب فضل المُتابعة بين الحجِّ والعُمرة- الحديث رقم (٢٦٣١)- ص ٤١١] من حديث عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه.

فكما طابت نفس النَّاسك أن تبذل ما جُبلت عليه من حُبِّ المال: جاد الله تبارك وتعالى عليه بالعوض عليه فانقلب بأحسن الحال.

فهذه بعض دلائل حجِّ البيت الحرام: على هذا الرُّكن من أركان الإسلام.

المطلب الرَّابع: دلالة مناسك الحجِّ على الصَّوم:

إنَّ الله تعالى قد جعل من جُملة أحكام حجِّ البيت الحرام؛ ما شرعه لثلاث طوائف من قاصدي النُّسك من الصِّيام؛ ممن وجب عليهم الهدي فلم يجدوا ما يُهدونه من الأنعام:

الطَّائفة الأُولى: من أراد التَّمتُّع بالعُمرة إلى الحجِّ.

الطَّائفة الثَّانية: من جامع أهله قبل أن يتحلَّل.

الطَّائفة الثَّالثة: من أُحصر عن البيت الحرام.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾(١).

وإنَّ من دلالة النُّسك على شهر الصِّيام؛ أنَّ عُمرة رمضان تعدل حجَّ البيت الحرام؛ مع النَّبيِّ عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: **(لمَّا رجع النَّبيُّ ﷺ من حجَّته قال لأُمِّ سنانٍ الأنصاريَّة: ما**

(١) سُورة البقرة: الآية ١٩٦.

منعك من الحجِّ؟ قالت أبوفلانٍ -تعني زوجها- كان له ناضحان[1]، حجَّ على أحدهما؛ والآخر يسقي أرضاً لنا. قال: فإنَّ عُمرة في رمضان تقضي حجَّة معي)[2].

فهذه بعض دلائل حجِّ البيت الحرام؛ على الرُّكن الرَّابع من أركان الإسلام؛ الذي افترضه الله علينا وهُو الصِّيام.

فتبيَّن أنَّ الحجَّ يُذكِّر بأركان الإسلام ويُرشد إليها، فهُو خاتم الأركان الخمسة، كما أنَّه المُهيمن عليها، وأركان الإسلام الخمسة كُلُّها ترجع إلى أصليْن هُما: الإخلاص والمُتابعة، ومن تأمَّل جميع مناسك الحجِّ والعمرة وجدها لهذيْن الأصليْن تابعة.

فالمناسك تُذكِّر الحاجَّ بالهجرة إلى الله سُبحانه بالإخلاص له والتَّوحيد والانقياد، والهجرة إلى مُتابعة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم الذي هُو فرضٌ على جميع العباد.

(ولله على كُلِّ قلبٍ هجرتان -وهُما فرضٌ لازمٌ له على الأنفاس-:

هجرةٌ إلى الله سُبحانه بالتَّوحيد والإخلاص والإنابة والحُبِّ والخوف والرَّجاء والعُبوديَّة.

وهجرةٌ إلى رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم بالتَّحكيم له والتَّسليم والتَّفويض والانقياد لحُكمه، وتلقِّي أحكام الظَّاهر والباطن من مشكاته؛ فيكون تعبُّده به أعظم من تعبُّد الرَّكب بالدَّليل الماهر في ظُلم اللَّيل ومتاهات الطَّريق)[3].

---

(١) قال ابن بطَّالٍ في [شرح صحيح البُخاريِّ ٤/ ٤٣٨]: (والنَّاضح: البعير أو الثَّور أو الحمار، يُربط به الرِّشاء يجرُّهُ فيُخرج الغَرْب). وقال ابن حجرٍ في [فتح الباري ٣/ ٧٠٧]: (لكن المُراد به هُنا: البعير، لتصريحه في رواية بكر بن عبدالله المُزنيِّ عن ابن عبَّاسٍ في رواية أبي داود بكونه: جَمَلاً).

(٢) صحيح البُخاريِّ [كتاب الحجِّ/ باب حجِّ النِّساء- الحديث رقم (١٨٦٣)- ٣/ ٥٥١].

(٣) مدارج السَّالكين لابن قيِّم الجوزيَّة ٣/ ٣٢٦.

(ولمَّا كان الحجُّ سفراً شاسعاً وعملاً شاقًّا لا يتمُّ إلا بجهد الأنفس كان مُباشرته خالصة لله مُكفِّراً للخطايا هادماً لما قبله)[1]؛ بمنزلة الإسلام والهجرة.

وقد جُمعت هذه الثَّلاثة -الإسلام والهجرة والحجُّ- في قول رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: **(أما علمت أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحجَّ يهدم ما كان قبله)** أخرجه مُسلمٌ[2].

---

(١) حُجَّة الله البالغة للدَّهلويِّ ١/ ٢٢٢.

(٢) صحيح مُسلم [كتاب الإيمان/ باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحجُّ- الحديث رقم (٣٣٦)- ١/ ١٥٢].

المبحث الثَّاني
دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جمع في مناسك الحجِّ أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، وبيان ذلك يتجلَّى في ستَّة مطالبٍ:

المطلب الأوَّل: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالله عزَّ وجلَّ:

إنَّ التَّلبية التي هي شعار الحجِّ إلى البيت الحرام تدلُّ بما تضمَّنته من المعاني والكلمات، على أصل الإيمان بالله تعالى وما تفرَّع عنه من الرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة والأسماء والصِّفات، فقول المُحْرِم: (لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والمُلك، لا شريك لك) فيه: إقرارٌ بهذا الإيمان، مع التَّصديق والإيقان.

ففُروع الإيمان الثَّلاثة وهي: الرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة والأسماء والصِّفات، قد نطق بها الوحي الكريم بإيجازٍ وإعجازٍ في هذه الكلمات: (إنَّ الحمد والنِّعمة لك والمُلك).

فحمد الله يتضمَّن إقرار الحامد بالأُلوهيَّة، والنِّعمة فيها : اعتراف المُنْعَم عليه بالرُّبوبيَّة.

وأمَّا المُلْك ففيه : تصديقٌ بهذه الصِّفة التي هي إحدى الصِّفات العُلى المُتضمِّنة للكمال، والدَّلالة على اسم الجلالة المَلِك الذي هُو أحد الأسماء الحُسنى المُشتملة على الجمال.

فاجتماع فُروع الإيمان الثَّلاثة في هذه التَّلبية التي هي شعار الحُجَّاج والمُعتمرين؛ نظير اجتماعها في سُورة الفاتحة التي هي أُمُّ الكتاب والسَّبع المثاني والكتاب المُبين: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[1].

---

(١) سُورة الفاتحة: الآيات ٢-٤.

وما جاء من الوعد الكريم في مناسك الحجِّ المُتضمِّن لفضيلة مغفرة الذَّنب؛ يُجدِّد الإيمان بالله تعالى وأنَّ من أسمائه الحُسنى الغفور والغفَّار وغافر الذَّنب، فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : **(مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق: غُفر له ما تقدَّم من ذنبه)** أخرجه التِّرمذيُّ[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(اللَّهُمَّ اغفر للمُحلِّقين. قالوا: يا رسول الله، وللمُقصِّرين. قال: اللَّهُمَّ اغفر للمُحلِّقين. قالوا: يا رسول الله؛ وللمُقصِّرين. قال: اللَّهُمَّ اغفر للمُحلِّقين. قالوا: يا رسول الله؛ وللمُقصِّرين. قال: وللمُقصِّرين)** أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ[2].

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على أوَّل رُكنٍ من أركان الإيمان الوثيق.

المطلب الثَّاني: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالملائكة:

إنَّ الرَّبَّ يُباهي بأهل الموقف أهل السَّماء الكرام، وهُم ملائكة الرَّحمن المُقرَّبون عنده عليهم السَّلام، فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُباهي الملائكة بأهل عرفاتٍ، يقول: انظروا إلى عبادي شُعثاً غُبراً)** أخرجه أحمد[3].

فالعبد يتذَّكر بهذه المُباهاة الجليلة الملائكة الكرام الذين خُوطبنا بالإيمان بهم، الذين يستغفرون لنا ويسألون لنا الجنَّة والوقاية من النَّار والذين أُمرنا بحُبِّهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ

---

(١) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في ثواب الحجِّ والعُمرة–الحديث رقم (٨١١)– ص١٩٨].

(٢) صحيح البُخاريِّ [كتاب الحجِّ/ باب الحلق والتَّقصير عند الإحلال– الحديث رقم (١٧٢٨)– ١/ ٥١١]، وصحيح مُسلم [كتاب الحجِّ/ باب تفضيل الحلق على التَّقصير وجواز التَّقصير– الحديث رقم (١٣٠٢)– ٢/ ٩٤٦].

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (٨٠٤٧)– ١٣/ ٤١٥].

عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[1].

فمحبَّة الملائكة الكرام قد أُودعت في قُلوب أهل الإيمان، كما أنَّ بُغضهم وعدواتهم مُودعةٌ في قُلوب أهل الطُّغيان، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[2].

وإتيان جبريل عليه السَّلام رسول الله ﷺ في بعض المناسك؛ يُذكِّر النَّاسك بالإيمان بالملائكة عليهم السَّلام وأنَّهم يأمروننا بأحسن المسالك، فعن السَّائب ابن خلادٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتَّلبية)** أخرجه أحمد وأبوداود والتِّرمذيُّ وابن ماجه[3].

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على هذا الرُّكن من أركان الإيمان الوثيق.

المطلب الثَّالث: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالكُتُب:

إنَّ مناسك الحجِّ تُذكِّر جميع الطَّائفين بالبيت العتيق؛ بالرِّسالات السَّماويَّة ليقابلوها بالإيمان بها والتَّصديق، وهي الكُتب المُنزلة؛ على الأنبياء المُرسلة.

---

(١) سُورة غافر: الآيات ٧-٩.

(٢) سُورة البقرة: الآيتان ٩٧-٩٨.

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (١٦٦٠٥)- ٤/ ٥٥]، وسُنن أبي داود [كتاب المناسك/ باب كيف التَّلبية- الحديث رقم (١٨١٤)- ص٢٧٩]، وسُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في رفع الصَّوت بالتَّلبية-الحديث رقم (٨٢٩)- ص٤٩٥]، وسُنن ابن ماجه [كتاب المناسك/ باب رفع الصَّوت بالتَّلبية- الحديث رقم (٢٩٢٢)- ص٢٠٣].

فإنَّ من جُملة ما اشتملت عليه هذه الكُتب من الأحكام، ما افْتُرِضَ على المُخاطبين بها من الحجِّ إلى بيت الله الحرام، الذي أذَّن به في النَّاس من بناه وهُو إبراهيم عليه السَّلام.

ومن تأمَّل حُسن المُناسبة بذكر القُرآن الكريم؛ مع إهلال النَّبيِّ عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم؛ أدرك دلالة منسك الحجِّ على القُرآن العظيم، كما في قول جابر بن عبدالله الأنصاريِّ رضي الله عنهما المُتقدِّم الذِّكر: **(ورسولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؛ وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ القُرْآنَ؛ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، ومَا عَمِلَ به مِنْ شَيْءٍ: عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ)**.

ويتجلَّى ذلك بما بين بيت الله الحرام والكُتب المُنزلة من التَّطابق؛ وبما اشتملت عليه أوصافهما الشَّريفة من شدَّة التَّقارب والتَّعانق، فبيت الله الحرام والكُتب السَّماوية هُما مصدر الهُدى ومنهما تتنزَّل البركات، وفيهما طُمأنينة القُلوب وقُرَّة العُيون وانشراح الصُّدور وصلاح بال البريَّات.

قال الله سُبحانه في نعت أُمِّ القُرى ووصف البيت الحرام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

فوصف الله تعالى بيته بأنَّه (مُباركٌ، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ، ولا أكثر خيراً ، ولا أدوم ولا أنفع للخلائق)[2]، ووصفه بأنَّه هُدى.

وقال تعالى في الكُتب المُنزلة على الأنبياء عليهم السَّلام: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ

(١) سُورة آل عمران: الآية ٩٦.

(٢) بدائع الفوائد لابن قيِّم الجوزيَّة ٢/ ٤٦١-٤٦٢.

كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾(2).

فجاء في كلام الله سُبحانه وتعالى اقتران الهُدى والبركة ببيت الله الحرام؛ كما جاء اقترانهما بكتابَيْ مُوسى ومُحمَّدٍ عليهما الصَّلاة والسَّلام.

وهذا يُبيِّن شرف هذيْن الكتابيْن على سائر الكُتب السَّماويَّة، وعظيم فضل هذيْن النَّبيَّيْن عليهما أفضل صلاةٍ وسلامٍ وتحيَّةٍ، (وتحت هذا سرٌّ يفهمه من فهم تقارب ما بين الأُمَّتيْن والشَّريعتيْن، واقتران التَّوراة بالقُرآن في غير موضعٍ من الكتاب)(3).

وإنَّ ممَّا يُستأنس به في هذا السِّياق ويُنوَّه عليه في هذا المقام؛ ما ورد من إشارة بعض الشَّرائع لمشاهد الحجِّ للبيت الحرام، كما جاءت الإشارة لهذا المشهد العظيم؛ ببعض نُصوص الأسفار من العهد القديم، فمن ذلك (قول إِشَعْيَا(4) في ذكر الحجر الأسود: قال الربُّ والسَّيِّد: ها أنذا مُؤسِّسٌ بصهيون حجراً في زاوية

(1) سُورة الأنعام: الآيتان ٩١-٩٢.

(2) سُورة الأنعام: الآيتان ١٥٤-١٥٥.

(3) جلاء الأفهام لابن قيِّم الجوزيَّة ص٢٢٠.

(4) معنى اسم (إِشَعْيَا): الرَّبُّ يُخلِّص، وسفر (إِشَعْيَا) هُو أحد أسفار الأنبياء المُتأخِّرين المُودعة في العهد القديم، ويغلب على هذه الأسفار طابع الرُّؤى، وفيها شيءٌ من التَّنبُّؤات بما سيكون من حال بني إسرائيل وحال النَّاس معهم، مع ما فيها من التَّهديدات لهم والوعد بالعودة والنَّصر. انظر: مُقارنة الأديان (اليهوديَّة) للدُّكتور أحمد شلبي ص٢٣٨، دراسات في اليهوديَّة للدُّكتور مُحمَّد الأعظميِّ ص١٦٨، دراساتٌ في الأديان للدُّكتور سُعود الخلف ص٧٨.

رُكنٍ منه، فمن كان مُؤمناً فلا يستعجلنا، وأجعل العدل مثل الشَّاقول؛ والصِّدق مثل الميزان، فيهلك الذين وُلعوا بالكذب.

فصهيون: هي مكَّة عند أهل الكتاب، وكذا كُلُّ بيتٍ بُني للصَّلاة، وصهيون أيضاً: الأرض المُقدَّسة، وهذا الحجر الأسود الذي يُقبِّله المُلوك فمن دونهم، وهُو ممَّا اختصَّ به مُحمَّدٌ وأُمَّته)[1].

ومن ذلك: (قول إِشَعْيَا في موضعٍ آخر: إنَّه ستُملأ البادية والمُدن قُصوراً إلى قيدار ومن رُؤوس الجبال، ويُنادونهم الذين يجعلون لله الكرامة، ويُثنون بتسبيحه في البرِّ والبحر، وقال: ارفع عَلَماً لجميع الأُمم من بعيدٍ، فيُصفِّر بهم من أقصى الأرض فإذا هم سراعٌ يأتون)[2].

وبنوا قيدار هُم العرب، لأنَّ قيدار هُو ابن إسماعيل بإجماع النَّاس، وربيعة ومُضر من ولده، ومُحمَّدٌ ﷺ من مُضر، والعَلَم الذي يُرفع هُو النُّبوَّة، والصَّفير بهم: دُعاؤهم من أقاصي الأرض إلى الحجِّ فإذا هُم سراعٌ يأتون، وهذا مُطابقٌ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

وهذا النِّداء: هُو ما جاء به النَّبيُّ ﷺ من التَّلبية في الحجِّ، وهُم الذين جعلوا لله الكرامة فوحَّدوه وعبدوه وأفردوه بالرُّبوبيَّة، وكسروا الأصنام وعطَّلوا الأوثان، والعَلَم المرفوع هُو النُّبوَّة، وصفيره: دُعاؤهم إلى بيته ومشاعره، فيأتونه سامعين مُطيعين، وهذا الامتلاء والتَّسبيح لم يحصل لهم إلا بمبعث مُحمَّدٍ ﷺ [4].

ومن ذلك: (قول إِشَعْيَا في موضعٍ آخر: سأبعث من الصَّبا قوماً يأتون من المشرق مُجيبين أفواجاً كالصَّعيد كثرةً، ومثل الطَّيَّان الذي يدوس برجله الطِّين.

---

(١) هداية الحيارى لابن قيِّم الجوزيَّة ص١٧٣.

(٢) هداية الحيارى لابن قيِّم الجوزيَّة ص١٧٣.

(٣) سُورة الحجِّ: الآية ٢٧.

(٤) انظر: الجواب الصَّحيح لابن تيميَّة ٥ / ٢٥٨، هداية الحيارى لابن قيِّم الجوزيَّة ص١٧٣.

والصَّبا يأتي من نحو مطلع الشَّمس، بعث الله سُبحانه من هُناك قوماً من أهل المشرق مُجيبين بالتَّلبية كالتُّراب كثرة، وقوله: ومثل الطَّيَّان الذي يدوس برجله الطِّين؛ إمَّا أن يُراد به الهرولة بالطَّواف والسَّعي، وإمَّا أن يُراد به رجالٌ قد كلَّت أرجلهم من المشي)(١).

فهذا من التَّطابق الذي في الشَّريعتيْن اللَّتيْن يتعبَّد بهما أتباع مُوسى ومُحمَّدٍ عليهما الصَّلاة والسَّلام، ففي هذه النُّصوص المُشار إليها: الدَّلالة على هذا المنسك العظيم وهُو منسك الحج إلى بيت الله الحرام.

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على هذا الرُّكن من أركان الإيمان الوثيق.

المطلب الرَّابع: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالرُّسل:

إنَّ مناسك الحجِّ إلى بيت الله الحرام؛ تُذكِّر بالإيمان بالرُّسل عليهم السَّلام، وذلك أن الله تعالى قد فرض قصد البلد الأمين؛ على من بعثهم قبل نبيِّنا من الأنبياء والمرسلين؛ صلَّى وسلَّم عليهم في الملأ الأعلى ربُّ العالمين، ومُبوَّؤهم إمام الحنفاء؛ ومُؤذِّنهم أبو الأنبياء؛ المُجتبى إبراهيم الخليل؛ عليه السَّلام والتَّبجيل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾(٢).

---

(١) هداية الحيارى لابن قيِّم الجوزيَّة ص١٧٤.

(٢) سُورة الحجِّ: الآيات ٢٦-٢٩.

فبناه إبراهيم عليه السَّلام (المشهود له بالخير على ألسنة أكثر الأُمم بأمر الله ووحيه؛ بعد أن كانت الأرض قفراً وعراً، إذ ليس غيره محجوجٌ إلا وفيه إشراكٌ أو اختراعُ ما لا أصل له)(١)، فهُو (الذي بنى بيت الله وأذَّن في النَّاس بحجِّه، فكُلُّ من حجَّه واعتمره حصل لإبراهيم من مزيد ثواب الله وكرامته بعدد الحُجَّاج والمُعتمرين)(٢)، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣).

وقد حكى نبيُّ الله ﷺ قصَّة بناء البيت الحرام، حين خاطب إبراهيم عليه السَّلام ابنه إسماعيل عليهما السَّلام، فقال: **(يا إسماعيل، إنَّ الله أمرني بأمرٍ. قال: فاصنع ما أمرك ربُّك. قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك. قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً -وأشار إلى أكمةٍ مُرتفعةٍ على ما حولها-. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتَّى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهُو يبني وإسماعيل يُناوله الحجارة، وهُما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. قال: فجعلا يبنيان حتَّى يدورا حول البيت وهُما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾)** أخرجه البُخاريُّ من حديث عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٤).

وقد مضى أنَّ الله تعالى أمر (نبيَّه وأُمَّته أن يتَّخذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى

---

(١) حُجَّة الله البالغة للدَّهلويِّ ١/ ٢٢٢.

(٢) جلاء الأفهام لابن قيِّم الجوزيَّة ص٣١٥.

(٣) سُورة الأنعام: الآية ٩٠؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

(٤) صحيح البُخاريِّ (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ النَّسلان في المشي- الحديث رقم (٣٣٦٥)- ٢/ ١٠٣٩-١٠٤٠).

تحقيقاً للاقتداء به، وإحياء آثاره صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم)[١].

لذا (فمن الواجب: المُحافظة على ما استفاض عن إماميهما كخصال الفطرة ومناسك الحجِّ)[٢]، كما أوصى رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهُم بقوله: **(قفوا على مشاعركم، فإنَّكم على إرثٍ من إرث أبيكم إبراهيم)** أخرجه أحمد وأبوداود والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه من حديث ابن مربعٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه[٣].

وإنَّ من هديه ﷺ المأثور عنه؛ إتيانه إلى ماء زمزم المُبارك وشُربه والتَّضلُّع منه، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: **(سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب قائماً واستسقى وهُو عند البيت)** أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ[٤].

والشُّرب من ماء زمزم يُذكِّر بقصَّة النَّبيِّ إسماعيل؛ عليه وعلى أُمِّه أفضل الصَّلاة والسَّلام والتَّبجيل، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: **(يرحم الله أُمَّ إسماعيل، لولا أنَّها عَجِلَت لكان زمزم عيناً معيناً)** أخرجه البُخاريُّ[٥].

وإذا رأى الحاجُّ مسجد الخَيْف بمنى وهُو مكان إقامة النَّبيِّ ﷺ في حجِّ البيت الحرام؛ تذكَّر ما جاء بالحديث الشَّريف من أنَّ هذا المسجد المُبارك قد صلَّى فيه سبعون نبيًّا عليهم السَّلام، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(صلَّى في مسجد الخيف سبعون نبيًّا، منهم مُوسى، كأنِّي أنظر إليه**

---

(١) جلاء الأفهام لابن قيِّم الجوزيَّة ص٣١٦.

(٢) حُجَّة الله البالغة للدَّهلويِّ ٢/ ١٦٠.

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (١٧٢٣٣)- ٢٨/ ٤٦٨]، وسُنن أبي داود [كتاب المناسك/ باب موضع الوُقوف بعرفة-الحديث رقم (١٩١٩)- ص٢٩٤-٢٩٥]، وسُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في الوُقوف بعرفاتٍ والدُّعاء بها-الحديث رقم (٨٨٣)- ص٢١٣]، وسُنن التِّرمذيِّ [كتاب مناسك الحجِّ/ رفع اليديْن في الدُّعاء بعرفة-الحديث رقم (٣٠١٤)- ص٤٦٦]، وسُنن ابن ماجه [كتاب المناسك/ باب الموقف بعرفاتٍ- الحديث رقم (٣٠١١)- ص٥١٠].

(٤) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الأشربة/ باب الشُّرب قائماً- الحديث رقم (٥٦١٧)- ٤/ ١٨٠٠]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الأشربة/ باب في الشُّرب من زمزم قائماً- الحديث رقم (٢٠٢٧)- ٣/ ١٦٠٢].

(٥) صحيح البُخاريِّ [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ النَّسلان في المشي- الحديث رقم (٣٣٦٢)- ٢/ ١٠٣٦].

وعليه عباءتان قطوانيَّتان[١]**، وهُو مُحرمٌ على بعيرٍ من إبل شنوءة مخطومٍ بخطام ليفٍ له ضَفْرَان)** أخرجه الطَّبرانيُّ[٢].

ويستحضر الحاجُّ تنقُّل الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ وهُم يرفعون أصواتهم بالتَّلبية بمشاعر حجِّ البيت الحرام، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: **(سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكَّة والمدينة فمررنا بوادٍ فقال: أيُّ وادٍ هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق. فقال: كأنِّي أنظر إلى مُوسى صلَّى الله عليه وسلَّم -فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود**[٣]**- واضعاً أُصبعيْه في أُذنيْه له جُؤارٌ**[٤] **إلى الله بالتَّلبية- مارًّا بهذا الوادي. قال: ثُمَّ سرنا حتَّى أتينا على ثنيَّة فقال: أيُّ ثنيَّةٍ هذه؟ قالوا: هَرْشَى**[٥] **أو لِفْتٌ. فقال: كأنِّي أنظر إلى يُونس على ناقةٍ حمراء عليه جُبَّةُ صُوفٍ، خطام ناقته ليفٌ خُلْبَةٌ**[٦] **مارًّا بهذا الوادي مُلبيًّا)** أخرجه مُسلمٌ[٧].

فتذكَّر الحاجِّ هذه المشاهد بالتَّصديق والإيقان؛ يُحدث له تجدُّد العهد مع هذا الرُّكن بالإيمان، فيُؤمن بالأنبياء والمُرسلين عليهم السَّلام، ويقتدي بما أُثر عنهم بحجِّ البيت الحرام، فهُم الأُسوة الحسنة، والقُدوة المُستحسنة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[٨].

---

(١) قال ابن الأثير في [النِّهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٨٥]: (القطوانيَّة: عباءةٌ بيضاء قصيرة الخَمْل).

(٢) المُعجم الكبير [الحديث رقم (١٢٢٨٣)- ١١/٣٥٨] والمُعجم الأوسط [الحديث رقم (٥٤٠٣)- ٦/١٩٣-١٩٤].

(٣) هُو راوي الحديث: داود بن أبي هندٍ القُشيْريُّ.

(٤) قال ابن الأثير في [النِّهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٣٢]: (الجُؤار: رفع الصَّوت والاستغاثة).

(٥) قال ابن الأثير في [النِّهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٦٠]: (هي ثنيَّةٌ بين مكَّة والمدينة).

(٦) قال ابن الأثير في [النِّهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥٨]: (يُسمَّى الحبل نفسه خُلْبة).

(٧) صحيح مُسلم [كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى السَّماوات وفرض الصَّلوات- الحديث رقم (١٦٦)- ١/١٥٢].

(٨) سُورة البقرة: الآيتان ١٢٧-١٢٨؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على هذا الرُّكن من أركان الإيمان الوثيق.

المطلب الخامس: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ مناسك الحجِّ تُذكِّر الحاجَّ بما هُو مُقبلٌ عليه؛ وهُو يوم القيامة الذي هُو لا محالة صائرٌ إليه، فإنَّ الحاجَّ مُنذ أن يخرج من بيته بهذه الرِّحلة الزَّاخرة: وهُو في تذكُّرٍ بما هُو مُرتحلٌ إليه حقيقةً للدَّار الآخرة.

فالحاجُّ إذا خرج للحجِّ فإنَّه يتغرَّب عن الأوطان، ويهجر حينئذٍ الولدان والنِّسوان والخلان والأثمان، فيستذكر خُروجه من هذه الدار؛ وارتحاله بعد موته إلى دار القرار، ولا يصحب الميِّت في هذه الحال؛ إلا ما قدَّمه من صالح الأعمال.

فكُلَّما سار الحاجُّ في تدبُّره السَّيْر الحثيث؛ استحضر ما دلَّ عليه نصُّ هذا الحديث: **(يتبع الميِّتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله)** أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وقد جاء اقتران مناسك الحجِّ الزَّاخرة؛ بالحثِّ على الاستعداد للدَّار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾(٢).

فأمر الله تعالى (الحُجَّاج بأن يتزوَّدوا لسفرهم؛ ولا يُسافروا بغير زادٍ، ثُمَّ نبَّههم على زاد سفر الآخرة وهُو التَّقوى، فكما أنَّه لا يصل المُسافر إلى مقصده

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الرِّقاق/ باب سكرات الموت- الحديث رقم (٦٥١٤)- ٤/ ٢٠٤٢]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الزُّهد والرَّقائق/ باب (١)- الحديث رقم (٢٩٦٠)- ٤/ ٢٢٧٣].

(٢) سُورة البقرة: الآية ١٩٧.

إلا بزادٍ يُبلِّغه إيَّاه؛ فكذلك المُسافر إلى الله تعالى والدَّار الآخرة لا يصل إلا بزادٍ من التَّقوى، فجمع بين الزَّاديْن)[١]، حتَّى يتذكَّر الحاجُّ (أنَّ سفر الآخرة أطول من هذا السَّفر، وأنَّ زاده التَّقوى، وأنَّ ما عداه ممَّا يُظنُّ أنَّه زاده يتخلَّف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه، كالطَّعام الرَّطب الذي يفسد في أوَّل منازل السَّفر، فيبقى وقت الحاجة مُتحيَّراً مُحتاجاً لا حيلة له، فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت، بل يُفسدها شوائب الرِّياء وكُدورات التَّقصير)[٢].

وقد تكرَّر التَّذكير بالجنَّة دار السَّلام؛ في حجَّة النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، كما يدلُّ على نعيمها الرُّكن والمقام، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنَّ الرُّكن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنَّة، طمس الله نُورهما، ولو لم يطمس نُورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)** أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ[٣].

فما حاذى الحاجُّ الحجر الأسود بطوافه بالبيت الحرام إلا تذكَّر الجنَّة التي أُهبط الحَجَرُ منها في سالف الأيَّام، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **(نزل الحَجَر الأسود من الجنَّة وهُو أشدُّ بياضاً من اللَّبن، فسوَّدته خطايا بني آدم)** أخرجه التِّرمذيُّ(٤).

وما جرى الإهلال والتَّكبير باللِّسان؛ إلا بُشِّر المُهلُّ والمُكبِّر بدُخول الجِنان، فعن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: **(ما أهلَّ مُهِلٌّ قطُّ إلا بُشِّر، ولا كبَّر مُكبِّرٌ قطُّ إلا بُشِّر. قيل: يا رسول الله؛ بالجنَّة؟ قال: نعم)** أخرجه الطَّبرانيُّ[٥].

---

(١) إغاثة اللَّهفان لابن قيِّم الجوزيَّة ١/٩٨.

(٢) إحياء عُلوم الدِّين للغزاليِّ ١/٢٦٧.

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (٧٠٠٠)- ١١/٥٧٧]، وسُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والرُّكن والمقام-الحديث رقم (٨٧٨)- ص٢١٢].

(٤) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والرُّكن والمقام-الحديث رقم (٨٧٧)- ص٢١٢].

(٥) المُعجم الأوسط [الحديث رقم (٧٧٧٥)- ٨/ ٣٨٢-٣٨٣].

فمناسك الحجِّ التي يجتهد الحُجَّاج في تحقُّقهم بالقيام بها تُذكِّرهم بمُنقلب الأبرار إلى الجنَّة، التي هي أشرف مواطن الآخرة التي يدخلها أهلها بتغمُّد الله تعالى لهم بالفضل والرَّحمة والمنَّة، فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(العُمرة إلى العُمرة كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة)** أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ(١).

والحجُّ المبرور هُو قصد البيْت بالإيمان والصِّدق، مع سلامة الحاجِّ من أمريْن وهُما: الرَّفث والفسق، فعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **(من حجَّ هذا البيْت فلم يرفث ولم يفسق: رجع كيوم ولدته أُمُّه)** أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ(٢).

وكُلٌّ من العمل الصَّالح المبرور؛ وعمل الفُسق والخُبث والفُجور: يُذكِّران بالبرزخ، وهي ثاني الدُّور، فصاحب العمل الصَّالح يُقابل بصاحب الوجه الحسن، وصاحب العمل الخبيث يُقابل بصاحب القُبح والنَّتن، قال النَّبيُّ ﷺ: **(ويأتيه رجلٌ حسن الوجه؛ حسن الثِّياب؛ طيِّب الرِّيح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك؛ هذا يومك الذي كُنت تُوعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير. فيقول: أنا عملك الصَّالح). إلى أن قال: (ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه؛ قبيح الثِّياب؛ مُنتن الرِّيح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك؛ هذا يومك الذي كُنت تُوعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشَّرِّ. فيقول: أنا عملك الخبيث)** أخرجه أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما(٣).

والعمل الخبيث الصَّادر من الفُجَّار؛ يهدي إلى نار الجحيم وبئس القرار، وقد جاء ذكر ما يدُّل على هذه النَّار: بيوم عرفة حين مُباهاة الملائكة الأبرار، فعن

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب العُمرة/ باب وُجوب العُمرة وفضلها- الحديث رقم (١٧٧٣)- ٥٢٣/١]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب في فضل الحجِّ والعُمرة ويوم عرفة- الحديث رقم (١٣٤٩)- ٩٨٣/٢].

(٢) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب المُحصر/ باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾- الحديث رقم (١٨٢٠)- ٥٣٧/٣]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب في فضل الحجِّ والعُمرة ويوم عرفة- الحديث رقم (١٣٥٠)- ٩٨٣/٢-٩٨٤].

(٣) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١٨٥٣٤)- ٤٩٩/٣٠-٥٠٣].

عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبداً من النَّار من يوم عرفة، وإنَّه ليدنو ثُمَّ يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟)** أخرجه مُسلمٌ(١).

فكُلُّ هذه المشاهد من مشاهد يوم القيامة، وهُو اليوم الذي يُقابل فيه الأبرار بالكرامة، ويُجازى به الفُجَّار ويُقابلون حينئذٍ بالملامة، وقد تكرَّر ذكر يوم القيامة بالأحاديث الواردة بحجَّة الوداع، فتنوَّعت دلائلها للمُخاطبين تهذيباً للطِّباع وتشنيفاً للأسماع، وتذكيراً للحُجَّاج بما يحصل في عرصاته من عظيم الاجتماع، فقد جاء ذكره عند ذكر الحجر الأسود الذي هُو من أجلِّ المشاهد، فإنَّ الله تعالى يبعثه يوم القيامة وله لسانٌ على كُلِّ مُستلمٍ له شاهدٍ، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحَجَر: **(والله؛ ليبعثنَّه الله يوم القيامة له عينان يُبصر بهما؛ ولسانٌ ينطق به، يشهد على من استلمه بحقٍّ)** أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ وابن ماجه(٢).

فيأتي الحَجَر يوم القيامة على الحقيقة شاهداً على الورى، وله لسانٌ وشفتان وهُو يومئذٍ أعظم من جبال أُمِّ القُرى، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتي الرُّكن يوم القيامة أعظم من أبي قُبيسٍ، له لسانٌ وشفتان)** أخرجه أحمد(٣).

وإنَّ من مواطن التَّذكير بيوم القيامة في حجَّة الوداع: ذكر من مات مُحرماً وأنَّه يُبعث وليس لتلبيته انقطاع، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: **(أنَّ رجلاً أوقصته راحلته وهُو مُحْرِمٌ فمات، فقال رسول الله ﷺ : اغسلوه بماءٍ وسدرٍ**

---

(١) صحيح مُسلمٍ [كتاب الحجِّ/ باب في فضل الحجِّ والعُمرة ويوم عرفة- الحديث رقم (١٣٤٨)- ٢/ ٩٨٢].

(٢) مُسند أحمد [الحديث رقم (٢٢١٥)- ٤/ ٩١]، وسُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في الحجر الأسود-الحديث رقم (٩٦١)- ص٢٣٠]، وسُنن ابن ماجه [كتاب المناسك/ باب استلام الحجر- الحديث رقم (٢٩٤٤)- ص٤٩٩].

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (٦٩٧٨)- ١١/ ٥٦٠].

وكفِّنوه في ثوبيْه، ولا تُخمِّروا رأسه ولا وجهه؛ فإنَّه يُبعث يوم القيامة مُلبِّياً) أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ[1].

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على هذا الرُّكن من أركان الإيمان الوثيق.

المطلب السَّادس: دلالة مناسك الحجِّ على الإيمان بالقدر:

إنَّ مناسك الحجِّ تُذكِّر الحاجَّ برُكن الإيمان السَّادس وهُو الإيمان بما جرى به القدر، فيعلم أنَّ ذهابه لهذا البيت العتيق ليس بحوله ولا قُوَّته إنما هُو تقدير ربِّه المُقتدر.

فكم ممَّن قد عقد النيَّة على حجِّ البيت؛ فأجهزه عن بُلوغ مرامه إلى الحجِّ الموت؟! أو حال بينه وبينه حائلٌ يقتضي الفوت؟!

فكم من مُعافى قد مَرِض؟! وكم من عارضٍ قد عَرَض؟! وكم ممَّن أحصره الأعداء؟! وكم ممَّن طرقها النُّفساء؟!

ودلائل الحجِّ على القدر تتجلَّى في بعض نُصوص الحجِّ الكريمة، وهي تغرس في سُويداء قلب الحاجِّ الصَّبر على الأقدار الأليمة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾الآية[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(خرجنا مع النَّبيِّ ﷺ ولا نرى إلا الحجَّ، حتَّى إذا كُنَّا بسَرِفٍ -أو قريباً منها- حضت، فدخل عليَّ النَّبيُّ ﷺ وأنا أبكي، فقال: أنفست -يعني الحيضة-؟ قالت: قُلتُ: نعم. قال: إنَّ هذا شيءٌ كتبه الله على بنات آدم، فاقضي ما يقضي الحاجُّ غير أن لا تطوفي بالبيت حتَّى**

---

(١) صحيح البُخاريِّ [كتاب الجنائز/ باب الكفن في ثوبيْن- الحديث رقم (١٢٦٥)- ١/ ٣٧٨]، وصحيح مُسلم [كتاب الحجِّ/ باب ما يُفعل بالمُحْرِم إذا مات- الحديث رقم (١٢٠٦)- ٢/ ٨٦٥].

(٢) سُورة البقرة: الآية ١٩٦.

تغتسلي) أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ(١).

فكُلُّ مانعٍ قد منع من تتمَّة الحجِّ والعمرة فهُو بقدر الله تعالى الذي قد كتبه، فكُلُّ ما يجري على الحاجِّ فهُو مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ حتَّى تعبه ونصبه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء)** أخرجه مُسلمٌ(٢).

فهذه بعض دلائل حجِّ بيت الله العتيق؛ على هذا الرُّكن من أركان الإيمان الوثيق.

فتبيَّن أنَّ الحجَّ يُذكِّر بأركان الإيمان السِّتَّة ويُرشد إليها، ويستخرج دفائن أسرارها وثمارها وحِكَمِها ويدلُّ عليها، وأركان الإيمان السِّتَّة كُلُّها ترجع إلى أصليْن، هُما: الصَّبر واليقين، ومن تأمَّل الحجَّ وجده قد أُسِّس بُنيانه على أساسهما المتين.

---

(١) صحيح البُخاريِّ [كتاب الحيض/ باب الأمر بالنُّفساء إذا نفسن- الحديث رقم (٢٩٤)- ١/١١٣]، وصحيح مُسلم [كتاب الحجِّ/ باب بيان وُجوه الإحرام وأنَّه يجوز إفراد الحجِّ والتَّمتُّع والقران وجواز إدخال الحجِّ علىَ العُمرة ومتى يُحِلُّ القارن من نسكه- الحديث رقم (١٢١١)- ٢/٨٧٣].

(٢) صحيح مُسلمٍ [كتاب القدر/ باب حِجَاج آدم ومُوسى عليهما السَّلام-الحديث رقم (٢٦٥٣)- ٤/٢٠٤٤].

المبحث الثَّالث

دلالة مناسك الحجِّ على الإحسان

إنَّ مناسك الحجِّ والعُمرة تُذكِّر الحاجَّ بأعلى مراتب الدِّين، وهي مرتبة الإحسان التي تتجلَّى فيها مُراقبة ربِّ العالمين، فيعبد الحاجُّ المُتنسِّك مولاه سُبحانه كأنَّه يراه، وهُو يعلم أنَّه إن لم يكن يرى ربَّه فإنَّ ربَّه يراه؛ فالحاجُّ (لا يُوصف بكونه مُحسناً إلا إذا كان فعله حسناً، وإحساناً معاً)[1].

وقد اقترن ذكر الإحسان الذي يُحبُّ الله تعالى أهله المُحسنين؛ بالأمر بإتمام الحجِّ والعُمرة وهُو أمارة إحسان الحُجَّاج والمُعتمرين، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[2].

(ومن تدبَّر الابتداء عرف الختم، ومن تأمَّل الختم لاح له الابتداء)[3]، فالواجب على الحُجَّاج والمُعتمرين أن يُحسنوا في الإتمام وفي الأداء.

ولا سبيل إلى بُلوغ مرتبة الإحسان إلا إذا اكتنفت المُحسنَ من مولاه الآلاء والمنن؛ وذلك بأن يوفِّقه الله سُبحانه وتعالى للتَّحقُّق بجميع مناسك الحجِّ بالقصد الحسن، مع مُلاحظة أنَّ حُسن القصد في الأداء؛ إنَّما يتحقَّق للحاجِّ والمُعتمر بثلاثة أشياء:

أحدها: تهذيبه علماً، بأن يجعله تابعاً للعلم على مقتضاه مُهذَّباً به، مُنقًّى من شوائب الحُظوظ، فلا يقصد إلا ما يجوز في العلم، والعلم: هُو اتِّباع الأمر والشَّرع.

والثَّاني: إبرامه عزماً، والإبرام: الإحكام والقُوَّة، أي يُقارنه عزمٌ يُمضيه، ولا يصحبه فتورٌ وتوانٍ يُضعفه ويُوهنه.

---

(١) التَّفسير الكبير للرَّازي ٥/١١٨.

(٢) سُورة البقرة: الآيتان ١٩٥-١٩٦.

(٣) نظم الدُّرر للبقاعيِّ ٣/١٣٦.

الثَّالث: تصفيته حالاً، أي يكون حال صاحبه صافياً من الأكدار والشَّوائب التي تدلُّ على كدر قصده، فإنَّ الحال مظهر القصد وثمرته، وهُو أيضاً مادَّته وباعثه، فكُلٌّ منهما ينفعل عن الآخر، فصفاؤه وتخليصه من تمام صفاء الآخر وتخليصه)[1].

فعلى قدر إحسان العبد في حجَّته؛ يُضاعف الله سُبحانه له في حسنته، فالحجُّ المبرور الذي ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه من البرِّ والإحسان، وإنَّما يعظم برُّ الحُجَّاج وإحسانهم وهُم وفد الله تعالى على صدق مُراقبتهم لربِّهم المنَّان.

وتفكُّر الحُجَّاج بالتَّلبية ومبانيها؛ وتدبُّرهم لحُسن جُملها ومعانيها: تحدو بهذه الأرواح الطَّيِّبة لمراتب المُراقبة، وتبعث النُّفُوس المُطمئنَّة على المُحاسبة، فإنَّ في قول المُحرم: (لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والمُلك، لا شريك لك): إقراراً بأنَّ الله تعالى غنيٌّ، وأنَّه أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، فيستدعي ذلك منه المُراقبة؛ وأنَّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان صالحاً فيحمله ذلك على المُحاسبة، كما قال رسول الله ﷺ: **(قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)** أخرجه مُسلمٌ من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

فمن تأمَّل معاني الإحسان التي دلَّت عليها التَّلبية العظيمة؛ وجدها مُودعة في إيجاب الحجِّ المذكور في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

فالمُحسن يحمله على الإحسان في حجِّه الذي يبتغي به وجه مولاه الصَّمد:

(١) مدارج السَّالكين لابن قيِّم الجوزيَّة ٣ / ٣٢٠.

(٢) صحيح مُسلمٍ [كتاب الزُّهد والرَّقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله– الحديث رقم (٧٦٦٦)– ١/ ١٥٢].

(٣) سُورة آل عمران: الآية ٩٧.

علمه بأنَّ الله سُبحانه وتعالى (هُو الغنيُّ الحميد ولا حاجة به إلى حجِّ أحدٍ، وإنَّما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هُو من أعظم التَّهديد وأبلغه، ثُمَّ أكَّد ذلك بذكر اسم العالمين عُموماً، ولم يقل: فإنَّ الله غنيٌّ عنه، لأنَّه إذا كان غنيًّا عن العالمين كُلِّهم؛ فله الغِنَى الكامل التَّامُّ من كُلِّ وجهٍ عن كُلِّ أحدٍ بكُلِّ اعتبارٍ، فكان أدلَّ على عظم مقته لتارك حقِّه الذي أوجبه عليه)(١).

فشتَّان بين تلبية الغافل الذي إنَّما ينطق بهذه التَّلبية باللِّسان؛ وبين تلبيةٍ يُواطئ القلب فيها اللِّسان فتُثمر للمُلبِّي الإحسان.

ولا يزال يترقَّى الحاجُّ بمرتبة الإحسان: حتَّى يبلغ به الحال إلى الرِّفق بالحيوان، فيُحسن بذبح هَدْي الشُّكْران والجُبْران، فعن شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه قال: (**ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله كتب الإحسان على كُلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْح، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، فليُرح ذبيحته**)(٢).

وإنَّ من معاني الإحسان: في التَّقربُّ بذبح الحيوان؛ أن يذكر عليه اسم المنَّان، وهذا الاقتران؛ جاء في القُرآن: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾(٣).

فافتتح سياق الآية الكريمة بذكر التَّسمية على الحيوان، واختتم سياق هذه

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيِّم الجوزيَّة ٢/ ٤٦٠.

(٢) صحيح مُسلم [كتاب الصَّيد والذَّبائح/ باب الأمر بإحسان الذَّبْح والقتل وتحديد الشَّفرة- الحديث رقم (١٩٥٥)- ٣/ ١٥٤٨].

(٣) سُورة آل عمران: الآية ٩٧؟؟؟؟؟؟؟؟؟.

الآية بذكر البشارة لأهل الإحسان، وهُم المُحسنون في عملهم، القائمون بحُدود الله تعالى، المُتَّبعون ما شُرع لهم، المُصدِّقون الرَّسول ﷺ فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربِّه عزَّ وجلَّ، المُخلصون في كُلِّ ما يأتون ويذرون في أُمور دينهم[١].

فأخبر الله تعالى أنَّه إنَّما سخَّر هذه البُدن (لمن يذكر اسمه عليها، وأنَّه إنَّما يناله التَّقوى وهي التَّقرُّب إليه بها، وذكر اسمه عليها، فإذا لم يذكر اسمه عليها كان ممنوعاً من أكلها وكانت مكروهة لله، فأكسبتها كراهيته لها؛ حيث لم يذكر عليها اسمه أو ذكر عليها اسم غيره، وصف الخُبث فكانت بمنزلة الميتة؛ وإذا كان هذا في متروك التَّسمية وما ذُكر عليه اسم غير الله؛ فما ذبحه عدوُّه المُشرك به -الذي هو من أخبث البريَّة- أولى بالتَّحريم، فإنَّ فعل الذَّابح وقصده وخُبثه لا يُنكر أن يُؤثِّر في المذبوح، كما أنَّ خُبث النَّاكح ووصفه وقصده يُؤثِّر في المرأة المنكوحة.

وهذه أُمورٌ إنَّما يُصدِّق بها من أشرق فيه نُور الشَّريعة وضياؤها، وباشر قلبه بشاشة حكمها وما اشتملت عليه من المصالح في القُلوب والأبدان، وتلقَّاها صافية من مشكاة النُّبوَّة، وأحكم العقد بينها وبين الأسماء والصِّفات التي لم يطمس نُورَ حقائقها ظُلمةُ التَّأويل والتَّحريف)[٢].

وقد جمع رسول الله ﷺ هذيْن المعنييْن الجليليْن من معاني الإحسان؛ بجواب من سأله عن أفضل الحجِّ فذكر رفع الصَّوت بالتَّلبية مع نحر الهدايا والقُربان، فعن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: **أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئل: أيُّ الحجِّ أفضل؟ قال: (العجُّ والثَّجُّ)** أخرجه التِّرمذيُّ وابن ماجه[٣].

فتبيَّن بهذا أنَّ مناسك الحجَّ تُذكِّر برُكن الإحسان وتُرشد إليه، وتدلُّ على أصليْه وهُما: المُراقبة والمُحاسبة وتجعلهما نَصْب عينيْه.

---

(١) انظر: تفسير القُرآن العظيم لابن كثيرٍ ٥/ ٤٣١، رُوح المعاني للألوسيِّ ٩/ ١٥١.

(٢) إعلام المُوقِّعين لابن قيِّم الجوزيَّة ٣/ ٤٢٤.

(٣) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب الحجِّ/ باب ما جاء في فضل التَّلبية والنَّحر–الحديث رقم (٨٢٧)– ص٢٠٢]، وسُنن ابن ماجه [كتاب المناسك/ باب رفع الصَّوت بالتَّلبية– الحديث رقم (٢٩٢٤)– ص٤٩٦].

خاتمة البحث

إنَّ مجموع ما في هذه الورقات؛ وما اندرج تحتها من كلماتٍ: ما هي إلا ومضاتٌ وإشـاراتٌ؛ ووراءهـا ما وراءهـا من العبارات، ولكن حسبنا أن نُوجز في خاتمة هذا البحث الذي موضوعه: (**دَلالاتُ مَنَاسِكِ الحَجِّ عَلَى أَرْكَانِ الإِسْلامِ وَالإِيْمَانِ وَالإِحْسَانِ**) بعض النَّتائج المُستفادة من البحث وهي:

١ – فقه حجِّ بيت الله الحرام ينقسم إلى قسميْن:

فقه أكبر: وهُو فقه أُصـول الدِّين المُستنبط مِمَّا في المناسك من الآيات والبيِّنات.

وفقه أصغر : وهُو فقه الشَّرائع والأحكام المُستنبط مِمَّا في المناسك من الأركان والواجبات.

٢ – المُتأمِّل في مناسك الحجِّ؛ يستنير بدلائلها الصَّريحة؛ ويستضيء بإشارتها المليحة؛ ويسير في فقهها الأكبر سير الحاثِّ؛ ويستنبط منها مراتب الدِّين الثَّلاث.

فالمرتبة الأُولـى: هي الإسـلام، والمرتبة الثَّانية: هي الإيمـان، والمرتبة الثَّالثة: هي الإحسان.

٣ – قد قرَّرت مناسك الحجِّ هذه القاعدة المرعيَّة؛ التي قد دلَّت على صحَّتها النُّصوص الشرعيَّة: (**من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه**).

٤ – جمع الله عزَّ وجلَّ في مناسك الحجِّ الشَّهادتيْن: الشَّهادة له تعالى بالتَّوحيد والبراءة من الشَّريك والنَّديد، والشَّهادة لنبيِّه ﷺ بالإرسال للعبيد.

٥ – قد شُرع للنَّاسك بعد الفراغ من الطَّواف على جهة الاستحباب والتَّأكيد؛ أن يقرأ في الرَّكعتين اللَّتيْن خلف مقام إبراهيم عليه السَّلام بسُورتَيِ التَّوحيد: الكافرون، والإخلاص.

٦ - العبادة الماليَّة التي في الحجِّ فيها مُشابهةٌ لرُكن الإسلام الثَّالث وهُو الزَّكاة، فإنَّ الحجَّ فيه بذلٌ للمال وهُو ما يُخرجه الحاجُّ من نفقةٍ ابتغاء وجه الله.

٧ - من دلالة النُّسك على شهر الصِّيام؛ أنَّ عُمرة رمضان تعدل حجَّ البيت الحرام؛ مع النَّبيِّ عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام.

٨ - أركان الإسلام الخمسة كُلُّها ترجع إلى أصليْن، هُما: الإخلاص والمُتابعة، ومن تأمَّل جميع مناسك الحجِّ والعمرة وجدها لهذيْن الأصليْن تابعة.

٩ - إنَّ التَّلبية -التي هي شعار الحجِّ إلى البيت الحرام- تدلُّ بما تضمَّنته من المعاني والكلمات: على أصل الإيمان بالله تعالى وما تفرَّع عنه من الرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة والأسماء والصِّفات.

١٠- العبد يتذَّكر بهذه المُباهاة الجليلة الملائكة الكرام الذين خُوطبنا بالإيمان بهم، الذين يستغفرون لنا، ويسألون لنا الجنَّة والوقاية من النَّار، والذين أُمرنا بحُبِّهم.

١١- المُتأمِّل ما بين البيت الحرام والكُتب المُنزلة من التَّطابق؛ يُدرك سرَّ ما بين أوصافهما الشَّريفة من التَّقارب والتَّعانق، فالبيت الحرام والكتاب المُنزَّل هُما مصدر الهُدى والنُّور، وفيهما طُمأنينة القُلوب، وقُرَّة العُيون، وانشراح الصُّدور.

١٢- مناسك الحجِّ إلى بيت الله الحرام؛ تُذكِّر بالإيمان بالرُّسل عليهم السَّلام؛ وذلك أن الله تعالى قد فرض قصد البلد الأمين؛ على من بعثهم قبل نبيِّنا من الأنبياء والمرسلين؛ صلَّى وسلَّم عليهم في الملأ الأعلى ربُّ العالمين.

١٣- إنَّ مناسك الحجِّ تُذكِّر الحاجَّ بما هُو مُقبلٌ عليه؛ وهُو يوم القيامة الذي هُو لا محالة صائرٌ إليه، فإنَّ الحاجَّ مُنذ أن يخرج من بيته بهذه الرِّحلة الزَّاخرة: وهُو في تذكُّرٍ بما هُو مُرتحلٌ إليه حقيقةً للدَّار الآخرة.

١٤- كُلُّ مانعٍ قد منع من تتمَّة الحجِّ والعمرة فهُو بقدر الله تعالى الذي قد كتبه، فكُلُّ ما يجري على الحاجِّ فهُو مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ حتَّى تعبه ونصبه.

١٥- أركان الإيمان السِّتَّة كُلُّها ترجع إلى أصليْن، هُما: الصَّبر واليقين، ومن تأمَّل الحجَّ وجده قد أُسِّس بُنيانه على أساسهما المتين.

١٦- على قدر إحسان العبد في حجَّته؛ يُضاعف الله سُبحانه له في حسنته، فالحجُّ المبرور الذي ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه من البرِّ والإحسان، وإنَّما يعظم برُّ الحُجَّاج وإحسانهم وهُم وفد الله تعالى على صدق مُراقبتهم لربِّهم المنَّان.

١٧- مناسك الحجَّ ومشاهده كُلُّها تُذكِّر برُكن الإحسان وتُرشد إليه، وتدلُّ على أصليْه، وهُما: المُراقبة والمُحاسبة، وتجعلهما نَصْب عينيْه.

والحمد لله أولاً وآخراً؛ وظاهراً وباطناً.

المصادر والمراجع

١ - **اجتماع الجيوش الإسلاميَّة على غزو المُعطِّلة والجهميَّة:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - تحقيق: زائد بن أحمد النشيري -تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة- دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٣١هـ).

٢ - **إحياء عُلُوم الدِّين:** مُحمَّد بن مُحمَّد الغزاليُّ - دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٣ - **الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسُّنَّة مُقارنة مع الدِّيانات الأُخرى:** أبوالحسن علي الحسني النَّدويُّ - دار الكُتب الإسلاميَّة - (١٣٨٧هـ).

٤ - **إعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - قرأه وقدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وآثاره: مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٥ - **إغاثة اللَّهفان في مصايد الشَّيطان:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - حقَّقه: مُحمَّد عُزير شمس - خرَّج أحاديثه: مُصطفى بن سعيد إيتيم - تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة - دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٣٢هـ).

٦ - **بدائع الفوائد:** مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة- تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد العمران- دار عالم الفوائد (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

٧ - **تفسير القرآن العظيم:** إسماعيل بن عُمر بن كثيرٍ الدِّمشقيُّ- تحقيق: سامي بن مُحمَّد السَّلامة- دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٨ - **تفسير القرآن العظيم:** عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الرَّازيُّ المعروف بابن أبي حاتم- مكتبة نزار مُصطفى الباز (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

٩ - **التَّفسير الكبير:** مُحمَّد بن عُمر الرَّازي - دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) - الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ- ١٩٩٠م).

١٠- **جامع البيان عن تأويل آي القُرآن:** مُحمَّد بن جريرٍ الطَّبريُّ - دار الفكر (بيروت/لبنان) - (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

١١- **الجامع لشُعب الإيمان:** أحمد بن الحُسين البيهقيُّ- حقَّقه وراجع نُصوصه وخرَّج أحاديثه: الدُّكتور/ عبدالعليِّ عبدالحميد حامد- الدَّار السَّلفيَّة (بومباي/ الهند)- الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

١٢- **جلاء الأفهام في فضل الصَّلاة والسَّلام على خير الأنام:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - تحقيق: زائد بن أحمد النشيري - إشراف: بكر بن عبدالله أبوزيد - تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة - دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

١٣- **الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح:** أحمد بن عبدالحليم بن تيميَّة الحرَّانيُّ - تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ علي بن حسن بن ناصر؛ الدُّكتور/ عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر؛ الدُّكتور/ حمدان بن مُحمَّد الحمدان - دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - النَّشرة الأُولى (١٤١٤هـ).

١٤- **الحجُّ وتهذيب النُّفوس:** عبدالرَّزَّاق بن عبدالمُحسن البدر - مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

١٥- **حُجَّة الله البالغة:** أحمد بن عبدالرَّحيم المعروف بشاه وليِّ الله الدِّهلويِّ -حقَّقه وعلَّق عليه: سعيد أحمد بن يُوسف البالن بُوري- مكتبة حجاز ديوبند.

١٦- **الحجة في القراءات السبع:** الحسين بن أحمد بن خالويه - تحقيق وشرح: الدكتور/ عبدالعال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة (بيروت/لبنان) - الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

١٧- **الدَّاء والدَّواء:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - حقَّقه: مُحمَّد أجمل الإصلاحي - خرَّج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري - تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة - دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٩هـ).

١٨- **الدُّرُّ المنثور في التَّفسير بالمأثور:** عبدالرَّحمن بن أبي بكرٍ السُّيوطيُّ - دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) - الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

١٩- **دراساتٌ في الأديان اليهوديَّة والنَّصرانيَّة:** الدُّكتور/ سُعود بن عبدالعزيز الخلف - أضواء السَّلف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الخامسة (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٢٠- **دراساتٌ في اليهوديَّة والمسيحيَّة وأديان الهند:** الدُّكتور/ مُحمَّد ضياء الرَّحمن الأعظميُّ -مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

٢١- **رُوح المعاني في تفسير القُرآن العظيم والسَّبع المثاني:** محمود شُكري الألوسي - دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) - الطَّبعة الأُولى (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

٢٢- **روضة المُحبِّين:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - تحقيق: مُحمَّد عُزير شمس - تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة - دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٣١هـ).

٢٣- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** مُحمَّد بن أبي بكر الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - حقَّق نُصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شُعيب الأرنؤوط؛ وعبدالقادر الأرنؤوط - مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان)؛ ومكتبة المنار الإسلاميَّة (حولي/ الكويت) - الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ- ١٩٨١م).

٢٤- **سنن ابن ماجه:** مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه- حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ- اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان- مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى.

٢٥- **سُنن أبي داود:** سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ- حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ- اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان- مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى.

٢٦- **سُنن التِّرمذيِّ:** مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ- حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ- اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان- مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى.

٢٧- **سُنن الدَّارقُطنيِّ:** عليُّ بن عُمر الدَّارقُطنيُّ - عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) - الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٣ه-١٩٩٣م).

٢٨- **السُّنن الكُبرى:** أحمد بن الحُسيْن البيهقيُّ - دار المعرفة (بيروت/ لبنان) - (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٢٩- **سُنن النَّسائيِّ:** أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ- حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد

ناصر الدِّين الألبانيُّ- اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان- مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى.

٣٠- **شرح الهداية:** أحمد بن عمَّار المهدويُّ - تحقيق ودراسة: الدُّكتور/ حازم سعيد حيدر - مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

٣١- **شرح صحيح البُخاريِّ:** عليُّ بن خلفٍ بن عبدالملك المعروف بابن بطَّالٍ- ضبط نصَّه وعلّق عليه: ياسر بن إبراهيم- مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

٣٢- **صحيح ابن حبَّان -بترتيب ابن بلبان-:** عليُّ بن بلبان الفارسيُّ - حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شُعيب الأرنؤوط - مُؤسَّسة الرِّسالة - الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤ه-١٩٩٣م).

٣٣- **صحيح البُخاريِّ:** مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ- تحقيق: مُحمَّد علي القُطب- المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان)- (١٤١١هـ- ١٩٩١م).

٣٤- **صحيح مُسلم:** مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ- حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّدٌ فُؤاد عبدالباقي- المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٣٥- **فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ:** أحمد بن عليِّ بن حجرٍ العسقلانيُّ- رقَّم كُتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحمَّد فُؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: مُحبُّ الدِّين الخطيب، راجعه: قُصي مُحبُّ الدِّين الخطيب- دار الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة)- الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٣٦- **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين:** مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر

الجُلِّيل – دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٣٧- **المُستدرك على الصَّحيحين:** مُحمَّد بن عبدالله الحاكم – دراسة وتحقيق: مُصطفى عبدالقادر عطا – دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) – الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

٣٨- **مُسند الإمـام أحمد بن حنبلٍ:** أحمد بن حنبلٍ الشَّيبانيُّ- حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: شُعيب الأرنؤوط- مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان)- الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٣٩- **مُسند الشَّاميِّين:** سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ- حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السَّلفيُّ- مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان)- الطَّبعة الثَّانية (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٤٠- **معاني القراءات:** محمد بن أحمد الأزهري – حققه وعلق عليه: أحمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية (بيروت/لبنان) – الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٤١- **المُعجم الأوسط:** سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ – تحقيق: الدُّكتور/ محمود الطَّحَّان – مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٤٢- **المُعجم الكبير:** سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ- حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السَّلفيُّ- دار إحياء التُّراث العربيِّ- (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٤٣- **مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة – تحقيق: عبدالرَّحمن بن حسن بن قائد – تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة – دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى (١٤٣٢هـ).

٤٤- **مُقارنة الأديان (اليهوديَّة):** الدُّكتور أحمد شلبي - مكتبة النَّهضة المصريَّة (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) - الطَّبعة العاشرة (١٩٩٢م).

٤٥- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنَّصارى:** مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة - تحقيق: عُثمان جُمعة ضُميرية - تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة - دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) - الطَّبعة الأُولى (١٤٢٩هـ).

٤٦- **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور:** إبراهيم بن عُمر البقاعيُّ - دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) - الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).

٤٧- **النِّهاية في غريب الحديث والأثر:** المُبارك بن مُحمَّد الجزريُّ - تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوي؛ محمود مُحمَّد الطَّناحي - دار الباز.